

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾² فِهَذَا يَمْتَضِي أَنْ نَشْعُرَ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَنَتَّقِيهِ فِي كُلِّ أَعْمَالِنَا. فَإِنَّ التَّقْوَى خَيْرٌ زَادٍ يَشْمَلُ كُلَّ عِبُودِيَّتِنَا وَيَرْفَعُ دَرَجَتَنَا فِي الدَّارَيْنِ.

إِخْوَتِي الْكِرَامَ،

فِي ضَوْءِ هَذِهِ الْحَقَائِقِ عَلَيْنَا بِالتَّقْوَى فِي كُلِّ أَعْمَالِنَا وَأَقْوَالِنَا وَأَفْكَارِنَا. وَمُقْتَضَى التَّقْوَى أَنْ نَحْتَفِظَ مِمَّا نَخَافُ. وَيَجِبُ أَنْ يَظْهَرَ هَذَا التَّقْوَى بِاتِّبَاعِنَا أَوْامِرَ اللَّهِ وَاجْتِنَابِنَا مِمَّا نَهَى عَنْهُ.

وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَكْبَرُ هَمِّنا قَبُولَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْمَالِنَا. نَفْهَمُ هَذَا الْمَقَامَ بِالِاسْتِمَاعِ لِلْحَوَارِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَأَبِي بِنِ كَعْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ عَنِ التَّقْوَى. فَقَالَ لَهُ: "أَمَا سَلَكْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟" قَالَ: "بَلَى." قَالَ: "فَمَا عَمِلْتَ؟" قَالَ: "شَمَرْتُ وَاجْتَهَدْتُ." قَالَ: "فَذَلِكَ التَّقْوَى."³

فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْمُقْرَبِينَ الَّذِينَ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ. وَأَنْ يَقْبَلَ جَمِيعَ عِبَادَاتِنَا وَلَوْ كَانَتْ صَغِيرَةً. آمِينَ

لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ مُشَارَكَتِهِ آخَرِينَ فِي مَالِهِ وَمَلِكِهِ وَعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَوَقْتِهِ كُرْهًا أَوْ طَوْعًا. وَإِنَّ إِيْتَاءَنَا مِنْ أَمْوَالِنَا اتِّبَاعًا لِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ أَمَارَاتِ إِيْمَانِنَا. الْمُهْمُّ أَنْ نُرَكِّزَ عَلَى وَظِيفَتِنَا بِالْعِبُودِيَّةِ وَلَا عَلَى أَذْوَاقِ أَنْفُسِنَا. فَإِنَّهَا الْمَسْأَلَةُ الْأَسَاسِيَّةُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ عِبَادَاتِهِمْ مِثْلَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامَ،

إِذْ مَا هُوَ الْإِكْسِيرُ الَّذِي سَيَرْفَعُ دَرَجَةَ عِبُودِيَّتِنَا إِلَى الدَّرَوَةِ؟ يَصِفُ لَنَا رَبُّنَا هَذَا الْإِكْسِيرَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)¹ فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ عِبُودِيَّتِنَا مَبْنِيَّةً عَلَى التَّقْوَى، يَعْنِي خَوْفِنَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَاتِّقَاءِنَا مِنْهُ. فَيَبْغِي أَنْ نَسْأَلَ بَعْدَ كُلِّ مَا نُعْطِي: "هَلْ تَقَبَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنِّي؟" "هَلْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِّي بِذَلِكَ؟" "هَلْ فَرِحَ اللَّهُ بِمَا قَدَّمْتُ مِنَ الْأَعْمَالِ؟".

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءَ،

لِمَاذَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْنِيَ أَعْمَالِنَا عَلَى التَّقْوَى؟ هَذَا بِأَنَّ صَاحِبَ كُلِّ مَا نُعْطِي هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنَّمَا نَتَصَرَّفُ فِيهَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا مِنْ مَالِهِ. فَنَعْلَمُ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لَنَا أَيُّ عِبَادَةٍ بَعْدَ إِنْعَامٍ مِنَ اللَّهِ بِتَيْسِيرِهِ الْأَعْمَالَ لَنَا. الْإِعْطَاءُ بِالْمَعْنَى الْحَقِيقِي هُوَ الَّذِي تُعْطِي مِنْ عَمَلٍ يَدُكَ. وَلَكِنْ ذَلِكَ لَا يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّ الْعِبَادَةِ. فَإِنَّ مُجَرَّدَ وُجُودِنَا إِنْعَامٌ مِنَ الْبَارِي. فَإِذَا أُعْطِينَا لَوْجَهُ اللَّهِ وَقُمْنًا بِعِبَادَتِهِ، لَمْ نَقْمُ بِهَا إِلَّا بِإِنْعَامٍ مِنْهُ عَلَيْنَا. فَلَا نُعْطِي مِنْ أَنْفُسِنَا، بَلْ نُرْجِعُ إِلَى اللَّهِ مَا أَعْطَانَا لِلتَّصَرُّفِ.